الحوار الديني بين الوسطية والاعتدال والعنف والتطرف الديني

عيسى عبد الله علي كاهوني*

مقدمة

التسامح في زمن الصدام والإرهاب

يعيش العالم عصرا يتميز بالعنصرية، رغم السماوات المفتوحة، وما يُقال عنه العالم قرية واحدة، وكان من المفترض أن يكون للإعلام المفتوح دور في التقريب بين الشعوب والثقافات والأفكار، ولكن ما حدث جاء بنتيجة عكسية، فالإعلام يكرس العنصرية ويروج للأفكار الهدّامة، بل يستخدم الإرهابيون شبكة المعلومات الدولية في الترويج للإرهاب، وكيفية تصنيع القنابل الفتّاكة، ونشر الذعر في العالم بأسره، من خلال نشر صور الذبح والقتل، ومن ثمّ الدخول بالإرهاب إلى كل بيت من بيوت العالم.

المأساة تكمن في أَنَّ المسلمين هم المتهمون بالإرهاب، ومن نافلة القول إن الإسلام دين تسامح وعلم وفكر وحضارة، ولكن بعض المنتسبين للإسلام هم الذين يروجون للقتل والفتك، ولم يقتصر دورهم في قتل غير المسلمين، لأن قتلهم للمسلمين أشد فتكا ونكرا، والعالم الغربي يعرف الفروق بين الإرهاب المتسربل باسم الإسلام، وبين الإسلام نفسه، والغرب عرف الحروب الدينية، التي قادها رجال دين أهلكوا الحرث والنسل، وجاء التعصب غالبا من المفاهيم الخاطئة للنصوص المقدسة.

فإذا نظرنا لباقي أصحاب الديانات لوجدنا منهم إرهابيين أيضا، إرهاب هندوس، إرهاب صربي، إرهاب ضد الأقليات، ثم الأهم هو الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين، ونحن هنا في هذه

---

* أستاذ مشارك بقسم العقيدة والدعوة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

الدراسة ندين كل أشكال التعصب، دون تمييز، فالإرهاب هو الإرهاب، وقتل النفس هو قتل النفس، الإرهاب كما يقولون: لا دين ولا عقل ولا نقل له، يفسر المقدس بالتعصب، يفسر التسامح بالقتل.

بين التعصب والإيمان

يثور تساؤل: هل كلما ازداد المرء إيمانا ازداد تعصبا؟!، وهو سؤال استنكاري، فالمفترض أن الإيمان يزيد التسامح والعفو والإيثار والأريحية، وبالتالي فالمتعصب ليس مؤمناً كامل الإيمان، أو هو ما أطلق عليه الشيخ محمد الغزالي بالتدين المغشوش، الذي هو أنكى من الإلحاد الصارخ(١).

وقد ذهب المؤرخ الأمريكي ويل ديورانت صاحب موسوعة **قصة الحضارة** أبعد من هذا فقال: "إن العقائد الفاسدة هي التي يموت في سبيلها البعض أشرف ميتة "(٢) ، وطبعا هو يقصد أن البعض يعتقد أنه يمتلك الحق المطلق، ومن ثم يتعصب لإيمانه أو فكرته، ثم يريد إجبار الناس على اعتناق اعتقاده أو جبرهم على الدخول في الملكوت، وعندما يرفضون يقوم بقتلهم، أو يفجر نفسه وهو يعتقد أنه مات ميتة شريفة، وهو اعتقاد خاطئ ودموي، ولذا نرى أن أشرس الحروب هي التي تقوم على اعتقاد ديني مزيف، وتاريخ الأديان والشعوب مليء بتلك الحروب الدموية، كان سببها فهم الدين، أو رؤية رجال الدين للنص المقدّس الذي يفسرو نه، وهي الرؤية التي جعلت البابا أوربان الثاني يقول عام 1095م : الرب يريد هذه الحرب (٣)، أي الحروب الصليبية، ولم يطلب منه المؤمنون الطيبون أي دليل على أن الله يريد الحرب، وردّ على من سأله بأنه يوجد مسيحيون في بيت المقدس قد يقتلون، فقال بكل الإيمان التقي المتعصب: اقتلوهم وسوف يميز الرب عباده، وهي نفس الرؤية أو الفتوى التي يمارس بها الإرهابيون الذين يظنون أنهم يَعْلُون من شأن الإسلام، وكذلك الطبيب الصهيوني موردخاي جولدشتاين الذي قتل المسلمين الفلسطينيين في الحرم الإبراهيمي وهم يؤدون صلاة الفجر عام 1994م، كان يؤمن أنه يتقرب إلى الله بهذه الدماء المراقة، ثم اعتبره اليهود بطلاً، وجعلوا من قبره مزارا مقدّساً.

ولنقس ذلك على الحروب الكبرى في التاريخ القديم والحديث نجدها دائما تقترب من الدين أو استخدام الدين من أجل إشعال الحماس في الحروب، أو تكريس الاستبداد، ومن هنا نتساءل : لماذا يزداد التعصب عندما يزداد الإيمان؟ وهل طلبت الأديان السماوية من المؤمنين بها أن يتعصبوا للدين فيرفضوا الآخر أو يقتلوه أو يسجنوه؟ وإذا لم تطلب الأديان ذلك فمن ربط التعصب

---

1 – الشيخ محمد الغزالي، هموم داعية، مكتبة المصطفى الإلكترونية، ص 31.

بالإيمان؟ ولماذا لا يشن الحروب سوى المؤمنون المتعصبون حتى صبغت الأرض بالدماء عبر قرون من التاريخ الدامي، ووصل الأمر بالملحدين للقول بأن الأديان تفرق والإلحاد يجمع.

خلاصة القول : إن الإيمان الغالب هو الإيمان المتعصب، الإيمان الخاطئ الذي يرى أنه يمتلك الحق المطلق، وأن كل ما عداه باطل يجب محاربته، وهؤلاء المؤمنون لا يرون أنهم متعصبون، لأنهم لا يرون الشعرة التي بين الإيمان والتعصب(٤) .

كل هذا يقود لأهمية الحوار بين الأديان لنشر قيم التسامح والاعتدال والوسطية، والحوار كما نراه هو الحوار دون الدخول في عقائد الآخرين، ونحن نكتب عن هذا الحوار في وقت انتشر فيه الإرهاب داخل الدول العربية حتى أمريكا مروراً بفرنسا ومن قبلها أسبانيا وبريطانيا، صحيح أن الإرهابيين مسلمين، ولكنهم إرهابيون مثلهم مثل من أقاموا مذابح في البوسنة وفي لبنان وفلسطين وغيرها.

وكذلك عندما نكتب عن الحوار الديني نكتبه من منظورنا الإسلامي لنشره للعالم وللمسلمين أنفسهم، لا للتدليل على أن الإسلام دين تسامح فقط، ولكن لكي نجنّب الأجيال الجديدة الانضمام للإرهاب والإرهابيين .

ففي الحقيقة إن إشكالية الحوار بين المعتقدات والقوميات والأيدلوجيات المختلفة حالة ملحة تسعى الكثير من الفعاليات في موقع المسئولية إلى التأسيس له في الفترة الأخيرة خاصة بعد أن أشار الكاتب الأمريكي صمويل هنتنجتون في كتابه **" صدام الحضارات "** إلى أن الصراعات في المستقبل سوف تتم بناء اً على الانتماءات الدينية والإثنية، بما يمثل إرهاصاً بلجوء الرأسمالية كنمط إنتاج سائد لمساعي التفتيت والمحاجزة بين الشعوب المختلفة بناء على هذه التنوعات وتحويلها لمجموعات بشرية صغيرة متناثرة كأحد الحلول لتجاوز أزمتها العميقة والتي ظهرت للعلن في سنة

---

2 – ويل ديورانت، **قصة الحضارة**، المجلد 8 (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999م، ص 281.

3 – علي أبو الخير، "الشعرة التي بين الإيمان والتعصب "، مقال منشور في جريدة **المصري اليوم** القاهرية بتاريخ 16/ 8/ 2010م، بدون رقم صفحة .... ونلاحظ أن المؤرخين المسلمين لم يطلقوا لفظ الحروب الصليبية، ولكنهم قالوا: حروب الفرنجة، لأنهم فرّقوا بين مسيحي الغرب ومسيحي الشرق، ولكن شاع المصطلح الغربي الخاطئ.

4 – المصدر السابق .

2008(٥).

لقد أصبح الحوار الديني خصوصاً مثار اهتمام الجميع بعد أن تحولت التنوعات الطائفية لحالة تهديد واضحة لاستقرار حتى الشعوب الإثنية الموحدة، كحالة أيرلندا الشمالية على سبيل المثال ما بين الكاثوليك والبروتستانت، بالإضافة للأوضاع الملتهبة في الشرق الأوسط في الوسط الديني بشكل عام.

على أن الفعاليات الدينية المختلفة تتناول مثل هذا الحوار كغاية متفق عليها كل من منظورها والذي يمثل مصالحها الخاصة في إطار اشتعال حالات خطف الأتباع بين المعتقدات المختلفة(٦).

وبالتالي يعتبر ذلك نوعاً من الهروب للأمام، لأن ذلك ليس حواراً بذاته.

في هذا البحث نحاول البحث عن المسكوت عنه سواءً في التراث الإسلامي أو في الفكر الديني بصورة عامة، ويهدف البحث من البداية أن ينتصر لفكر الحوار الوسطي المعتدل، في زمن التعصب والعنصرية والانفلات الإرهابي.

كما يهدف البحث إلى الاعتماد على الأرضية القرآنية بصورةٍ عامةٍ وشاملة، ومعها أسس التعامل النبوي مع المخالفين له في العقيدة والعرق، وليس ذلك كل شي ء، فالحوار الذي نراه ينطلق بين المسلمين بعضهم البعض ليصل إلى الحوار بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات السماوية والأرضية على السواء. وهو ما نسميه مسألة الحوار الديني.

مسألة الحوار الديني

هذا التنوع الواضح في طريقة التعاطي مع مسألة " الحوار الديني " يختلف من مجموعة دينية لأخرى، وبينما تسعى المجموعات الوسطية بشكل عام للتوصل إلى صيغة من التلاقي في المشتركات، ومحاولة التعاطي بسماحة مع نقاط الاختلاف، مقابل تجنب الضغط على نقاط الصدام التي تتعلق بالقضايا التاريخية المتناهية في القدم ، بحيث يتم تناولها بقدر أكبر من الوعي وبعيداً عن الإثارة العاطفية.

---

5 – صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ترجمة وتحقيق: مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا، 1999م، ص 57.

6 – المقصود بهذه الحالة (خطف الأتباع) وهو الاستغلال الإعلامي لمعتنقي الأديان والمذاهب المتصارعة كالترويج الإعلامي لمعتنقي المذهب السني بين الشيعة أو لمعتنقي المذهب الشيعي بين السنة أو لمعتنقي المسيحية في الوسط الإسلامي والعكس. وهنا يخرج الأمر من مجرد التبشير بالدين أو المذهب إلى المتاجرة به في إطار هذا الصراع بين المعتقدات.

هناك كذلك مجموعات دينية أخرى لا ترى في الحوار سوى وسيلة للضغط على الطرف الآخر، كي يتنازل عن مسلماته ويقينياته العقائدية والفقهية والتاريخية، ويتحوّل بشكل جزئي أو كامل إلى المعتقد المخالف ، أو على الأقل يتم إسقاط وإضعاف خصوصيته التراثية وتشويهها تمهيداً لتحقيق غاية " خطف الأتباع " بين مؤيديه وتحويل انتمائهم الديني والطائفي للناحية الأخرى .

ومثل هذا الأسلوب في التفكير يعتمد بشكل دائم على التفوق العددي أو السياسي لطائفة على أخرى، وبالتالي امتلاكها للوسائل الإعلامية والقوة السياسية لطرح رؤيتها باعتبارها الرؤية الصحيحة، وتوجيه الاتهامات بإلحاحٍ دائمٍ إلى الطائفة الأخرى بانعدام المصداقية أو انعدام الولاء الوطني في محاولة للضغط على قياداتها وإجبارها إلى خوض الحوار كطرف ضعيف ومستسلم(٧).

ففي الشرق الأوسط حيث الأكثرية الإسلامية العميقة الجذور تعاني الحكومات بشكل عام من حالة رخاوة واضحة نتيجة ضعف الاقتصاديات الداخلية وتراجع سياسات التصنيع التي تمكن الدول من تحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي، وتمكنها من تطبيق قوانينها بصرامة على كافة مواطنيها .

وكنتيجة حتمية لرخاوة كيان الدولة ، فإن المجموعات الملتئمة ضمن إطار ديني (٨) أو إثني أو قبلي تظهر بنفوذ واضح في المجتمع لسيطرتها القوية على سلوكيات أتباعها ضمن العادات والتقاليد العرفية الخاصة بها، وهو ما يجبر الحكومات على النظر بعناية لإرادتها.

---

7 – سكوت هيبارد ، **السياسة الدينية والدول العلمانية** – ترجمة الأمير سامح كريم ، عالم المعرفة، الكويت، يونيو/ حزيران 2014، ص 157 ..... وقد أشار الكاتب إلى هذه المشكلة في دراسته للسياسات الدينية بالهند ، والتي رغم علمانيتها إلا أن الحكومات التالية لحكومة "نهرو" سعت لاستغلال المجموعات الهندوسية المتطرفة في محاولة للحصول على أكبر قدر من الأصوات في الانتخابات النيابية وفي صراعها مع دولة باكستان الإسلامية حيث سعت لممارسة الضغوط السياسية عليها عبر توجيه اتهامات متعددة للطائفة الإسلامية في الهند بعدم الولاء للدولة الهندية والعمالة لباكستان ، كما أثيرت العديد من الصراعات بين الطائفتين للتأكيد على إسقاط أي نفوذ للمسلمين وكانت مشكلة مسجد بابري الذي انحازت فيها الحكومة العلمانية للمتطرفين الهندوس علامة واضحة على هذا التحالف الطائفي .

8 – هذه المجموعات بالرغم من أن أعدادها قد تكون قليلة لكنها بشكل عام تنتمي للغالبية الدينية وتسعى لاعتبار كيانها كمعبر ومتحدث عن مكون الأكثرية في مواجهة المكونات الأخرى .

وفي المقابل تحاول هذه المجموعات المتراصّة فرض رؤيتها للحوار الديني بحسب مصالحها سواءً في الصيغة الدينية أو غيرها، وهو ما يؤدي بشكل عام لإثارة النزاعات بينها وبين المكونات الأضعف في المجتمع وخاصة الأقليات الدينية والمذهبية.

وتتخذ صيغة الحوار بين هذه المجموعات الدينية وبين المكونات الأقل عدداً شكل "الخضوع مقابل الأمان " حيث يتم فرض إرادة الغالبية وتحقيق مطالبها مقابل حصول الأقلية على حق الحياة لا أكثر(٩) .

محاور البحث

إن دراسة " الحوار الديني " في هذا البحث تعتمد بشكل عام على المحاور التالية :

المحور الأول

دراسة الصدام غير الأخلاقي الذي يشهده العالم في الفترة الأخيرة وخلفياته كنقطة أولى، سواء بين قوى الإرهاب والشعوب الإسلامية، وما تشنه القوى الكبرى من حرب مدفوعة الثمن مقدما، وحقيقة التمايز بين الفكر الصدامي والفكر الحواري، أيضا يبحث المحور حول حقيقة السلوك المتعصب لبعض المنتسبين للإسلام، وضرورة التقارب الإسلامي قبل كل شيء.

المحور الثاني

يبحث هذا المحور حول نشأة فكرة الحوار الديني بشكل عام وخلفياتها وتجاربها السابقة كنقطة ثانية، ومن ثم تفسير المجموعات الدينية المختلفة الحالية لفكرة الحوار كنقطة ثالثة، وهل هذا التفسير أو ذاك متناسب مع الحقيقة القرآنية المطلقة، وهذا ليس إدانة لأحد، بل كل شي ء قابل للحوار من المنطلقات التحريرية للخطاب الديني والعودة مباشرة للحوار الذي تبناه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كما جاء بالقرآن الكريم.

المحور الثالث

يبحث هذا المحور دراسة خطر التطرف، وأسباب انتشار تصوّر معين لمتعصب والإرهاب الدموي، سواءً الذي تتبناه قوى الإرهاب أو قوى الاستبداد، وذلك في مواجهة التصورات الأخرى وحصوله على الدعم الجماهيري كنقطة رابعة.

---

9 – في حادثة العامرية بالإسكندرية على سبيل المثال سنة 2011م أثناء فتنة بين المسلمين والمسيحيين، فقد لجأت الحكومة المصرية لعقد جلسة عرفية بين الأسرة المسيحية المعتدى عليها وبين بعض علماء الدين المسلمين للمصالحة، وانتهت الجلسة للحكم على الأسرة المسيحية بالرحيل عن المنطقة بسلام .

المحور الرابع

يبحث هذا المحور دراسة المؤثرات التي تحرّك الحوار الديني أو تعرقل مساره، للوصول إلى نقطة الالتقاء سواء بين المسلمين أنفسهم، أو بين المسلمين وغير المسلمين، والتأكيد على أن التواصل وليس الخصام هو الهدف الأصيل لأي لقاء بشري.

على أن ذلك يعطينا الأمل في التأكيد على أن الهدف سواء من هذه الدراسة أو غيرها هو السعي لحقن الدماء المسفوحة لأبرياء سقطوا ضحية التعصب المنسوب للدين.

المحور الأول

الصدام غير الأخلاقي والحوار الديني

الصدام كما ذكرنا ليس بين الأديان بحد ذاتها، ولكنه بين أتباع أصحاب الأديان، وهو صدام غير أخلاقي، لأن الصدام ضد الطبيعة الإنسانية التي ترفض الظلم وتنشد العدل في كل مسيرة البشرية، وكل رسالات السماء تنشد العدالة، وتنتصر للمظلوم، فإبراهيم عليه السلام هو أب لجمهور من الأمم، فقد جاء في سفر التكوين " أَما أَنَا فهو ذا عهدي معك، وتَكون أبا لجمهور مِنَ والمفترض أن أبناءه لا يقتتلون، وهو افتراض مثالي على كل حال، لأن الحروب بين أبنائه مستمرة منذ جالوت(١١) وحتى اليوم.

وفي موعظة الجبل على سبيل المثال، نجد السيّد المسيح عليه السلام يرسخ تلك القيم، فيقول " طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للحزنى لأنهم يتعزّون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطشى إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون، طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات، طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين ... افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم"(١٢)

---

10 -**العهد القديم** ، سِفْر التكوين / إصحاح 17/ 4.

11 -جالوت أو جوليات، هو محارب ظالم معروف لمعركته ضد النبي الشاب داود عليه السلام ، ملك إسرائيل المستقبلي، كما تم وصفه في التوراة أو العهد القديم، وهو طالوت كما جاء ذكره في القرآن.

12 -**إنجيل متى**، الإصحاح ، من 3 إلى 12.

المسيح في الموعظة يردّد السلام، بل هو أكثر الناس تأكيداً لإنسانيته وإنسانية الإنسان، فدائماً يقول عن نفسه ابن الإنسان، وينشد السلام للعالم، فلم يتردّد لقب الإنسان في دينٍ آخر مثل دين المسيح عليه السلام؛ وإ ضافة ابن إلى الإنسان تحدد شخصية عيسى ، فهو ابن الإنسان ودعوته للإنسان الخاطئ قبل المؤمن، ففي سِفْر اشعياء جاءت بشارة بالمسيح : "روح السيّد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسر ي القلب، لأناد ي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنه مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا، لأعزى كل النائحين(١٣)

فابن الإنسان كلمة لازمة للسيد المسيح تقديراً عن شريعة الحبّ التي نادى بها، لأن الإنسان المقدّس هو محور الكون وسيده، وبشريعة الحب قضى على شريعة الكبرياء والرياء، وعلّم الناس أَنّ الوصايا الإلهية لم تجعل للزهو والإدعاء والهيته بالنفس، وَوَسْمِ الآخرين بالتهم والذنوب ، ولكنها جعلت " لحساب نفسك قبل حساب غيرك ، وللعطف على الناس بالرحم ة والمعذرة، لا لاقتناص الزلات واستطلاع العيوب"(١٤)

والمسيح نفسه موضوع **الإنجيل**، وهويّة الإنسان عند الله في **الإنجيل** تتلخص في كون المسيح ابن الإنسان، وليس في كل الأناجيل عن المسيح إنه ابن الإنسانة (رغم أنه ولد بغير أب) مما يؤكد أَنّ الإنسان البشري هو خلاصة دعوة المسيح، هو الإنسان كما اصطفاه الله ليكون خليفة له في الأرض أو في ملكوت الله، فالمسيح يقول : "الحق أقول لكم أن من القيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته .... فإني أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان"(١٥)...."وقال لهم ابن الإنسان سيد السبت أيضا، بل لتعلموا أن ابن الإنسان له سلطة غفران الذنوب"(١٦) ... "لأن ابن الإنسان جاء ينشد وينقذ الضالين"(١٧) .

يتضح أن ابن الإنسان جاء لكي يقيم ملكوت الله في الأرض، وقد فهم المؤمنون الأوائل أو الحواريون هذا الملكوت على أنه الدار الآخرة وفهمه اللاحقون كذلك، وإن كانت الإشارة إلى

---

13 -**العهد القديم** ، سِفْر أشعياء 61/ 1،3.

14 -عباس محمود العقاد، حياة المسيح، كتاب اليوم، مصر، 1953م صـ133.

15 -إنجيل متّى 10/ 23.

16 -إنجيل لوقا 16/ 16.

17 -إنجيل لوقا 19/ 10،8.

ملكوت الله في دعوة ابن الإنسان قد تبين أن الملكوت الأرضي في الحياة كان له شأن كبير في دعوة المسيح على أساس شريعة الحب التي جاء بها إلي الإنسان فرداً كان أو عنواناً يشمل كل إنسان(١٨).

وهو يؤكد حقيقة أن الأديان السماوية تكمّل بعضها البعض، ولا يفرقها سوى المتعصبون من أتباعهم، وهم الذين يفسرون النصوص المقدسة بتأويلات فاسدة.

وهو ما جاء به الإسلام بكل تأكيد، فشريعة الإسلام ترفض الاعتداء، وترد العدوان بدون انتقام فاشي، قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(١٩)، والقتال في سبيل الله هو من أجل رد العدوان، والدفاع عن المظلومين أيًّا كان دينهم أو عرقهم.

ومن هنا نجد أن الأديان لها أصل واحد، ودعوة واحدة من أجل كرامة الإنسان، وكذلك الحضارات، هي سلسلة متصلة تتنقل بين القارات، وبين الأجناس المختلفة، فوسط الصراعات والحروب يحدث تقارب شبه عفوي بين الثقافات، وعلى الشعوب السعي الدّؤوب لها.

لقد صبغت الحروب التاريخ البشري بالدماء، ولسنا بحاجة إلى التذكير بتلك الحروب، والتي مازالت تحدث، خاصة في المنطقة العربية الإسلامية، اصطدم فيها الإرهاب بالإرهاب، والتعصب بالتعصب، والشر بالشر(٢٠).

حوار الأديان والحضارات وتقارب الشعوب

رأينا كيف أن الأديان السماوية نادت بوحدة الشعور الإنساني، وبشَّرت بالسلام والتسامح، ولكن المتعصبين هم من يشنون الحروب باسم الدين، والحقيقة أن الشعوب تتواصل حتى في أثناء الحروب، تتفاعل مع بعضها البعض، وتتواصل الحضارات، في الشرق مرة وفي الغرب أخرى، ومن ثم فإن الحوار الديني ما هو إلا تقارب بين الشعوب..

---

18 -عباس العقاد، **حياة المسيح**، مرجع سابق صـ 160.

19 -سورة البقرة الآية 190

20 -نتأمل ما تقوم به داعش وبوكو حرام والقاعدة من قتل وسحل وسبي، وما تقوم به الصهيونية في فلسطين، وما قامت به الدولة الأمريكية في العراق وأفغانستان، للتدليل فقط على أن الصدامات دائما تكون غير أخلاقية، ولأننا نكتب عن الحوار لم نتوقف كثيرا حول الأمثلة المعاصرة، فهي مازالت قائمة تثبت أن البشرية في حاجة للحوار.

كما إنّ المقاربات الموضوعية التي تناولت علاقة الحضارات ببعضها تشير إلى أنّ الحضارات لا تتصارع أو تتحاور، بل النّاس هم الذين يتصارعون ويتحاورون لأسباب تتعلق بالمصالح بالدرجة الأولى، وبالتالي فإنّ مواقف البشر لا تنبع من معطياتهم الحضاريّة والثقافيّة بقدر ما تنبع من مواقعهم في البناء الاجتماعيّ الاقتصاديّ القوميّ أو العابر للقوميّات بفعل العولمة(٢١).

فالحضارات ليست كتلاً جامدةً غير متفاعلة، بل يوجد التنوّع والتناقض في داخل كلّ حضارة، وهو ما أتاح وجود ما يسمّى برؤى متعددة للعلاقة بين الحضارات، ولا نقول الحوار أو الصدام، إذ أنّ كليهما تجسيد لإحدى هذه الرؤى، بحسب المصلحة والسياق التاريخيّ. وبمعنى آخر: إنّ ما سمح بوجود التنوّع في الغرب هو أنّ الغرب لديه أفكار وتصورات ورؤى متعددة حول العلاقة بين الحضارات، ويحدّد هذه الرؤى مصالح ومواقع البشر في البناء الاجتماعيّ ما يؤدّي إلى وجود جماعات بحكم المصالح والمواقع تتبنّى الحوار، وأخرى تسعى إلى الصدام والحروب.

إن الذاكرة التاريخية لدى أهل هذه الأديان، لا زالت تتوجس وتحذر من مفهوم الحوار والتواصل بين أهل الأديان اليوم(٢٢).

من هنا ومن أجل إزالة رواسب التاريخ وتجاوز حقب الإلغاء والإقصاء المتبادلين، نحن بحاجة على صعيد الحوار بين الأديان، الانتقال من سياق الحوارات ذات الطبيعة اللاهوتية، التي لا تضيف إلا تأكيد كل طرف على أن مضامينه الدينية والفلسفية والروحية تتسع وتحترم الآخر المختلف في العقيدة والدين.

بينما الحاجة ماسة اليوم إلى الحوارات الثقافية، التي تعمل في اتجاهين في وقت واحد، الاتجاه الأول: هو تنقية الفضاء الثقافي والاجتماعي والسياسي، من كل رواسب الحروب وعمليات الإقصاء، وهذا لا يتأتى إلا بحوارات ثقافية عميقة وصريحة، بحيث أن كل طرف، يمارس نقدا صريحا وعميقا لبنيته الثقافية على هذا الصعيد، وقد آن الأوان لردم الفجوة على الصعيد الفكري والثقافي، بالمزيد من الحوارات التي تستهدف صياغة الوعي الجديد في طبيعة العلاقة مع ظاهرة التعددية الدينية(٢٣) .

---

21 -د. خليل حسن، إشكالية الحضارات والأديان وجدواها، موقع: http://www.alhiwartoday.net، بدون رقم صفحة.

22 -محمد محفوظ، "الحوار الديني وأسس التفاهم المدني "، **مجلة منشورات مركز آفاق للدراسات والبحوث** ، بيروت، 13/ 7/ 2012م، ص 17.

23 -المصدر السابق ص 17.

والاتجاه الآخر: هو العمل على بناء حقائق ثقافية واجتماعية وسياسية جديدة، تنقل الحوار من بعده اللاهوتي المغلق، إلى آفاق الإنسان فرداً وجماعة من أجل المساهمة في خلق نظام إنساني عالمي أكثر عدالةً وحريةً ومساواةً، وهذا يتطلب وعياً تواصليا، وحواراً حراً وشفافاً من أجل بلورة كيفية الانخراط في مشروع الحداثة واستيعاب عناصرها الأساسية .

فالحضارة وهي أعقد ظاهرة سوسيو/ تاريخية (٢٤) خلقها الإنسان، لا يمكن حصرها في قوم أو أمة أو ثقافة، فهي نتاج تراكم تاريخي اشتركت جميع الثقافات والأمم والأقوام بنسب متفاوتة في خلقها وبناءها، فاليوم لا توجد حضارات معاصرة، بل حضارة إنسانية واحدة، وبمقدار تقدم الأمم والشعوب في مختلف المستويات، يكون نصيبها وموقعها في الحضارة المعاصرة، وإننا نعتقد أن العمل على اكتشاف وتظهير الينابيع الإنسانية العميقة لكل الأديان السماوية، سيساهم بشكل كبير في بلورة خيارات إنسانية أكثر عدلا ومساواة وحرية للبشرية جمعاء ، وإن كل محاولات الانحباس دون البعد والروح الإنسانية، سيكلف البشرية الكثير من العناء والشقاء.

فالمجتمعات الإنسانية اليوم، تحتاج إلى الدين في بعده الإنساني والأخلاقي والروحي، وإن الانكفاء دون تجلية وتظهير هذه الأبعاد من الأديان السماوية، يعني المزيد من الحروب والصراعات المفتوحة.

والدمار الذي يهدد الإنسان فردا وجماعة في أمنه وكرامته وضرورات عيشه، لذلك فإن المهمة الأساس في مشروع حوار الأديان، ليس الدخول في نفق السجالات اللاهوتية والأيدلوجية، وإنما العمل على تظهير كل القيم الإنسانية والحضارية التي تختزنها الأديان السماوية، وإعمال العقل وإطلاق حرية التفكير من أجل بناء نظام علاقات بين مختلف المجموعات الدينية، على قاعدة العدل والحرية وحقوق الإنسان، فالانتماء الديني ليس مدعاة للانتقاص من حقوق الإنسان أو فرصة للتقليل من حقائق ومتطلبات العدل والحرية، فالحقوق مصانة للجميع، والفرص متاحة للجميع، بصرف النظر عن الدين أو العرق أو القومية(٢٥).

---

24 -مفهوم السوسيو / تاريخي ينبع من فهم السياق التاريخي والاجتماعي من خلال السياسة، أو هي علاقة التاريخ بالسياسة، وعموما التاريخ ابن للجغرافيا، والسياسة تالية لهما، وهذا المفهوم عبّر عنه كثيرون من علماء التاريخ والسياسة معا، وهم يحددون تاريخا معينا من خلال قادة السياسة التي كانت قائمة عند مرحلة زمنية محددة، وهو يعتبر من العلوم التاريخية والاجتماعية، انظر: محمود إسماعيل، **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي** 10 مجلدات، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

25 -وليم سليمان قلادة ، **الحوار بين الأديان**، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 63.

فالتواصل بين المختلفين والمتغايرين دينيا، لا يتم عبر العقائد واللاهوت، وإنما عبر الثقافة التي تدفع جميع المكونات إلى الحوار والتفاهم ونسج المشتركات وتنميتها.

لذلك نجد القرآن الحكيم، حينما يحثنا إلى الحوار والتواصل مع أهل الكتاب، يؤكد على كلمة سواء، وهي عبارة عن المشتركات والجوامع التي تجمعنا مع الآخرين، فالحوار لا يعني مغادرة موقعك الديني أو الفكري، وإنما يعني اكتشاف المساحات المشتركة والانطلاق للعمل معا منها(٢٦).

ولا ننفي هنا أهمية الحوارات الأيدلوجية واللاهوتية في تظهير المشتركات، وإنما ما نود قوله وتوضيحه، هو إن الحوارات الثقافية المستديمة بين المختلفين والمتغايرين، هي البوابة السليمة للانخراط في مشروع الحوارات الأيدلوجية، فالحوارات الثقافية وما تخلقها من مشتركات وبيئة حاضنة ومؤاتية، هي التي تهيِّئ الأرضية لنجاح أي حوار ديني وأيدلوجي(٢٧).

فالحوارات الثقافية هي القادرة على صياغة راهن العلاقة بين كل الثقافات والوجودات الاجتماعية على أسس العدالة والاحترام المتبادل، أما الحوارات الأيدلوجية فهي تستهدف بالدرجة الأولى التعريف المتبادل للعقائد وتظهير الجوامع المشتركة على هذا الصعيد.

وعلى هذا فإن كل الحوارات بكل مستوياتها مطلوبة، إلا أن المدخل الإيجابي لكي تؤتي هذه الحوارات ثمارها الإيجابية، هي أن تبدأ الحوارات في بعدها الثقافي، وذلك لتفكيك كل عقد الراهن، والانطلاق من خلو الراهن من عقد مستعصية إلى الحوارات في جوانبها وأبعادها الأخرى(٢٨).

وفي الآية القرآنية، إشارة إلى أن الجدل الأيدلوجي المجرد من طبيعته، أن يصرَّ كل طرف على موقفه وقناعاته، دون التفكير في صناعة وتوسيع المساحات المشتركة.

إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٢٩).

---

26 -محمد محفوظ، المصدر السابق، ص 19.

27 -وليم قلادة، المصدر السابق، ص 35.

28 -المصدر السابق، ص 35.

29 -سورة البقرة الآية 111 ، 113.

وبالتالي فإن نجاح الحوار في مختلف دوائره، ليست رغبة مجردة ومعطى مفصول عن التخطيط والإرادة والحكمة، بل هي عملية خلق متواصل لكل الحقائق والوقائع، التي تؤكد على التواصل والقبول بالتعددية وأسس العيش المشترك.

فالحوار هو من أجل إنقاذ الحاضر من أمراض الظلم والاستبداد وسيطرة المادية المتوحشة، وبناء المستقبل بعيدا عن كل أسباب وموجبات الانحدار الأخلاقي والسياسي والروحي، وما يجب أن يكون مساهمة جوهرية في الوصول إلى الحوار بين الأديان، إنما هو البحث في التاريخ الذي أدى في كل من التراثات إلى الموقف المعاصر من التعدد في الحقل الاجتماعي، إلى جانب التنبيه المناسب للسؤال عن المقاييس التي نستخدمها بهذا الصدد في تحليل تاريخنا وتاريخ تراث الشعوب الأخرى، من المهم، للنجاح في هذا العمل، إتباع المراحل التالية:

في المرحلة الأولى: يجب فيها تعميق الاختبار في إيماننا وتفكيرنا، هذا الاختبار الذي نقوم به في الحوار مع تاريخنا الخاص وفي اللقاء مع الثقافات الأخرى، نستعمل لهذا مقاييس وشروطا معينة، يجدر التقيد بها عندما نعالج الأمور من الداخل، من تساؤلاتنا اللاهوتية. إنه إلى حد ما التوتر بين علم الأديان وربما أيضا الفلسفة من جهة، واللاهوت من جهة أخرى.

المرحلة الثانية: التي يجدر أن تستأثر باهتمامنا هي ناحية العلمنة(٣٠)، فكل ما هو ممكن اليوم في عالمنا المتعدد بالنسبة إلى العيش معا بسلام، وحتى اجتماع من هذا النوع، لم يصر ممكناً إلا بفضل نظام حقوقي دولي نما مع ما ندعوه العلمانية، التي تحملنا مع كل الاختلافات في المواقف، على الابتعاد عن محاربة أحدنا الآخر، بل ترغمنا على ذلك.

والمرحلة الثالثة: هي حرية الفكر، التي لا بد منها للتمكن من التفكير بالحقيقة في شروط محدودة، نملك في تراثنا الجامعات، التي يصح أن نصفها بأنها أماكن حرية الفكر، بما في ذلك اللاهوت كمادة جامعية(٣١) .والعلمنة المطروحة لا تعني الانحلال الأخلاقي، واستغلال المرأة أو كل المظاهر المريبة اجتماعيا وأخلاقيا[٣٢]، وإنما تعني ضرورة وجود حيز حر من التفكير المتحرر من الخوف، وبناء علاقات اجتماعية وإنسانية على قاعدة المشترك الإنساني والوطني، وليس على قاعدة التمايز

30 -محمد أركون ، العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب، مكتبة المصطفى الإلكترونية، ص 191.

31 -وليم سليمان قلادة، الحوار بين الأديان، المصدر السابق ، ص 123.

32 -**محمد أركون، العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب**، 196.

الديني أو العرقي أو ما أشبه ذلك، ولا يمكن تعميق أسس التفاهم المدني، إلا بشيوع وتعميق ثقافة الحرية وحقوق الإنسان والتسامح في الفضاء الاجتماعي والإنساني(٣٣).

فالثقافات المدنية تقتضي توسيع مساحة المشترك على قاعدة الحوار والحرية والأسئلة النقدية التي تساءل الواقع، وتعمل على فحصه وصولا إلى تظهير كل المضامين الحضارية والإنسانية للقيم والمبادئ والمثل العليا.

لهذا يقول: "أندراوس بشته" إنه مهم جدا أن لا نعزل وضع جماعتنا الدينية والجماعات الدينية الأخرى لننظر إليها في ذاتها، بل يجب السعي إلى فهمها في الإطار الاجتماعي الثقافي الذي تحيا فيه، لمعرفة تطوراتها التاريخية"(٣٤).

فهل نأخذ هذا الأمر بالاعتبار بشكل كافٍ أيضا في الحوار المسيحي/ الإسلامي، وذلك بما نقوم به من جهود كبيرة للوصول إلى وصف تاريخي موضوعي، وتصحيحات مناسبة لتصور الآخر في كتب الدراسة وفي معطيات الثقافة العامة لشبيبة اليوم.

فإعادة صوغ العلاقة بين أهل الديانات التوحيدية الكبرى، على أسس العدالة ونبذ الظلم ومحاربة الاستئثار بكل صوره، سيساهم في إرساء عالم السلام في المشهد العالمي، وذلك لأنه على حد تعبير عالم اللاهوت الألماني هانس كونج: " لن يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان"(٣٥).

إننا نعتقد بأهمية أن تتجه حوارات الأديان، إلى بيان وتعميق أسس التفاهم المدني بين البشر فالقيم الدينية الكبرى في كل الأديان، تكون عامل إثراء وتعزيز لكل تفاهم وتعايش بين بني الإنسان،

---

33 -المصدر السابق، ص 196.

34 -أندراوس بشته، **الإسلام يسائل المسيحية في شؤون اللاهوت والفلسفة** ، ترجمة عادل تيدور خوري، المكتبة البولسية، بيروت، 2000م ، ص 361.

35 -هانس كونج، **الإسلام رمز الأمل**، ترجمة رانيا خلاف، دار الشروق، القاهرة، 2007م، ص 143، وقد قال كونج "لقد اختلفت تماماً مع ما نشره صمويل هنتنجتون عن صدام الحضارات.. إنه رجلٌ لطيفٌ ولكنه لم يفهم الكثير عن الأديان.. إن كل من يعرف الأديان ويعلم مسارات الحضارات يدرك أنها ليست كتلاً متجمدة بل هناك مؤثرات ونقاط التقاء إنه ليس بإمكاننا توحيد الأديان في العالم فهذا وهم لكن الأمل أن يعم السلام بين الأديانأ وهذا أمل واقعي جداً.

ولكي تكون الحوارات الدينية جسرا لتعميق أسس التفاهم المدني بين الأمم والمجتمعات الإنسانية، من الضروري التأكيد على النقاط التالية(٣٦):

1 – ضرورة العمل على تفكيك كل الأنماط والتصورات النمطية التي يحملها كل طرف عن الآخر، فلا يمكن تطوير مستوى الحوار، وإيصاله إلى مستويات متقدمة من التفاهم المتبادل، إلا بخروج الجميع من كل التصورات الجامدة والنمطية، والتي تبلورت في عصور الصراع والجهل المتبادل، فالقوالب الذهنية والثقافية الجامدة والنمطية، هي أحد المعوقات الأساسية التي تحول دون تطور حوار الأديان في الحقبة الراهنة، والخروج من الرؤية النمطية، لا يعني نفي التاريخ أو تجاهل أحداثه وملابساته، وإنما خلق الوعي الذي يكفل للجميع عدم الخضوع لمقتضيات القول والرؤية النمطية، التي هي بشكل أو بآخر وليدة لحظة تاريخية ذات التباسات عديدة(٣٧)

ولعلنا لسنا بحاجة إلى نبش التاريخ، لمعرفة المصادر التاريخية والدينية والاجتماعية، التي ساهمت في خلق الرؤية النمطية والجامدة تجاه الإسلام كدين والمسلمين كمجتمع وثقافة، وإنما الذي يهمنا في هذا الصدد هو : إن مقتضى الحوار بين الأديان ، يتطلب الانعتاق من كل الصور والانطباعات والنماذج التاريخية، التي تشكلت بين أهل الأديان، وهي صور وانطباعات أقل ما يقال عنها أنها انتقائية ووليدة ظروف خاص.

2 – من الأهمية بمكان أن تخرج حوارات الأديان، من طابع السجالات الأيدلوجية واللاهوتية، وتتجه بتركيز صوب البحث عن أشكال وصيغ التعايش بين أهل الديانات التوحيدية الكبرى، إذ أن الحاجة الإنسانية الملحة اليوم، هي الوصول إلى صيغ للتفاهم والتعايش بين مختلف المكونات والتعبيرات(٣٨).

وإن المؤتمرات والحوارات ينبغي أن تلتفت إلى هذه الحاجة، وتعمل عبر برامجها وأطرها المختلفة، للبحث العميق والمتواصل في صيغ تتجاوز فيها البشرية، خطر التعصب والإرهاب، وتؤسس لحالة إنسانية جديدة، قوامها التعايش على قاعدة الاحترام المتبادل.

---

36 –المصدر السابق، ص 147.

37 –أليكسي جورافسكي، **الإسلام والمسيحية** ، ترجمة خلف محمد جراد، منشورات سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996م، ص 19.

38 –المصدر السابق، ص 20.

وإن قوة الاتصالات بالعالم المعاصر، ستفتح آفاقا وإمكانات عريضة لإدراك التقاليد الدينية المغايرة، الأمر الذي يجعل حوار الإسلام الجدي مع الديانات الأخرى في منتهى الأهمية والضرورة(٣٩).

ولهذا فإن مفكري الشرق الدينيين الأكثر عمقا وإطلاعا يدركون بصورة أكبر فأكبر، أن بلوغ تدين أكثر ملاءمة واتساقا مع الظروف العصرية الراهنة، يمكن أن يحدث فقط في شروط تؤمن التحرر من الكراهية الطائفية والشعور بالتفوق والتميز(٤٠).

3 – لكي تمارس الأديان دورها ووظيفتها في دعم قيم السلام والوئام والتنمية في المجتمعات الإنسانية، من الضروري الاهتمام بالبعد الروحي للأديان، والعمل على إبراز هذا الجانب، وكل التجارب الروحية للأفراد، وذلك لأن هذه التجارب والقيم الروحية التي تقف وراءها، تساهم بشكل أساسي في تصحيح العديد من التصرفات والممارسات، وتضبط نزعات الاستئثار والميل نحو استخدام القوة الغاشمة ضد المختلف والمغاير(٤١).

نحن بحاجة إلى تجلية البعد الروحي للأديان السماوية، وذلك من أجل أن تمارس هذه القيم دورها ووظيفتها في الفضاء الإنساني بكل مستوياته ودوائره.

والخلاصة : هي إننا نعتقد وبشكل عميق أن الاهتمام بحوار الأديان وتطوير موضوعاته ونقلها، من حقل الأيدولوجيا واللاهوت إلى حقل الثقافة والإنسان، سيساهم في رفد الإنسانية جمعاء بالكثير من القيم والمبادئ والتجارب الروحية، التي تحد من غلواء وتوحش المادة، وصولا إلى بناء إنساني أكثر توازناً وبعداً عن نزعات الطغيان والاستبداد والهيمنة.

المحور الثاني

حول نشأة الحوار الديني

دور الوسطية

عندما نتحدث عن خلفية نشأة الحوار بين الأديان أو المذاهب أو الأعراق، فإننا ننطلق من رؤية إسلامية، هذه الرؤية تنطلق من مفهوم الوسطية الإسلامية، فالقرآن الكريم جعل المسلمين أمة

---

39 –المصدر السابق، ص 21.

40 –موريس بورمانس: **قواعد ارشادية للتحاور بين المسيحية والإسلام**، ترجمة من الفرنسية: ار.ماسترون، ص 56، المجلس البابوي لحوار الأديان، مطبعة باولست، نيوجرسي الأمريكه، 1990م.

41 –المصدر السابق، ص 57.

وسطا بين الناس، ليس ذلك فقط، بل لكي يكونوا شهداء على الناس، وعندما يكون المسلمون شهداء على الناس، فإنهم بالتالي يكونون رقيبين على أنفسهم أولا، ثم الدفاع عن المستضعفين أيا كان دينهم أو لونهم أو عرقهم، والدفاع عنهم ليس بالسلاح، بل بالقسط بين الناس، بالصلح بينهم، وهذا هو مفهوم الحوار الديني بين المسلمين بعضهم البعض، وبين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات أو المذاهب المختلفة، ومن خلال ذلك نعود للوسطية، التي تعتمد الحوار الديني منطلقا من منطلقاتها.

نشأة الحوار الديني

عادة ما يشير مصطلح الحوار سواء على مستواه الديني أو الحضاري إلى درجة عالية من التفاعل الثقافي والتعاطي الإيجابي بين الشعوب، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف؛ لأنه سنة كونية سائدة بين البشر، وهو لا يجعلنا نتخلى عن ثقافاتنا وإرثنا القديم، بل إن الحوار الحضاري يساعد على اكتشاف المساحة المشتركة بين الحضارات لتكون محطة انطلاق لرقي البشرية وتقدمها، وهو الأسلوب الأمثل لحل المشكلات التي تحدث بين الدول والأمم(٤٢).

والثقافة والحضارة صنوان لا يفترقان، وهما المكونان للشخصية الإنسانية؛ حيث من خلالهما تُحقق الأمم التواصل الحي، وتُقيم علاقات إيجابية فاعلة تعود بالخير والنماء على البشر كافة كما أن الحوار الحضاري وسيلة للتبادل الثقافي مع الحضارات المختلفة.

ولحوار الحضارات مساهمة كبيرة في تغيير نظرة الإنسان نحو مجتمع أو حضارة ما، وهذا ما يجب أن نسعى إليه لتكون حضارتنا الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً ذات قيمة ومكانة عالية، ونصحح النظرات السلبية والعدائية التي ألصقها بعضهم بحضارتنا الإسلامية.

يرى المؤرخون والباحثون عن بداية نشأة حوار الحضارات أن دعوة المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي (٤٣) بضرورة ووجوب التحاور بين الحضارات هي أول دعوة صريحة ومباشرة للحوار بين الحضارات.

ولكن من الناحية التاريخية والثقافية كان الحوار بين الحضارات، ممارسة راسخة وعميقة بين الشعوب منذ القدم عبرت عنها المساهمات الحضارية في مجالات العلوم التجريبية والإنسانية والفنون عبر انتقال هذه الأعمال من محيطها الحضاري المحلي إلى الأفق العالمي؛ حيث شَكَّلت هذه

---

42 -محمد الشويعر، "حوار الحضارات"، مقال منشور بجريدة **الشرق** السعودية، 2/ 11/ 2012م.

43 -روجيه جارودي، **الإسلام وأزمة الغرب**، دار الوفاء – المنصورة، مصر، 1997م، ص 77.

الممارسة حالة رائعة من الحوار والتواصل بين الحضارات، والتاريخ يثبت لنا أن الحضارات التي بقيت أسيرة ومحاصرة داخل فضائها ومجالها المحلي الخاص بها لا تستطيع أن تصمد، بل تكون مهددة بالزوال أو على الأقل الذوبان في حضارة أخرى، كما أن جزءاً كبيراً من الصراع الذي يشهده العالم من حولنا سواء بشكله السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي تُشكل الحضارة فيه ورقة القوة والضغط(٤٤).

وهنا يمكن القول: إذا كنا لا نملك ثقافة مؤثرة ومنتجة ترتكز على حضارة عريقة لا يمكننا اليوم أن نتعايش مع موازين القوة بمفهومها الشامل الذي يحكم العالم اليوم.

وإذا تمعّنا جيداً في نشأة حوار الحضارات فإنه يعود إلى آلاف السنين الماضية؛ لأن الجذور التاريخية لحوار الحضارات تعود منذ نشأة الخليقة على هذه الأرض، على أسس مختلفة ومتنوعة، لا يمكن لنا أن نعيش في العالم تحت حضارة واحدة فلكل دين ومنطقة جغرافية متطلباتها الحضارية، وأيديولوجياتها المختلفة والمتميزة عن غيرهما.

وفي تاريخنا الإسلامي نماذج كثيرة للتعايش الحضاري الذي تم بين المسلمين وغير المسلمين الذين عاشوا بين ظهرانيهم، وخير مثال على ذلك بلاد الأندلس التي عاش فيها المسلمون والنصارى واليهود جنباً إلى جنب بسلام ووئام ، ولكل طائفة حضاراتها وعاداتها وتقاليدها، فالإسلام بادر منذ البداية على الحوار الإيجابي، ومارسه المسلمون من خلال الوسطية الإسلامية.

الوسطية

الأخذ بوسط بين طرفين متضادين ، وكلمة متطرف، هي الأخذ بأطراف الأمور لا بأوساطها، فالوسطية تأتي بمعنى: التوسط بين شيئين، وبمعنى العدل والخيار، والأجود، والأفضل، وما بين الجيد والرديء، والمعتدل، وبمعنى الحسب والشرف، والوسطية هي منهج فكري وسلوك أخلاقي(٤٥) كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾(٤٦) وهي حق بين باطلين واعتدال بين متطرفين وعدل بين ظلمين.

---

44 -المصدر السابق، ص 81.

45 -محمد عادل عزيزة، "الوسطية في الإسلام "، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر الوحدة الإسلامية، طهران، 2011م.

46 -سورة القصص، الآية: 77.

والوسطية ضد التطرف والغلو، فديننا الإسلامي دين يسر ورحمة ، ولو لم يكن كذلك لما انتشر في أصقاع العالم بأسره ، وأمتنا هي الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي، والمسلمون هم في جملتهم العدول الخيار أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين، عقدية وعلماً وعملاً وأخلاقاً ومواقف. وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور.

وقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تشيد بالوسطية والاعتدال وتدعو إلى التيسير ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٤٧) وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(٤٨) وأخرج البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن المنبتَّ لا ظهر أبقى ولا أرضا قطع»(٤٩) والمنبت الذي عطب مركوبه من شدة السير.

وحادثة الرجال الثلاثة الذين جاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري ومسلم وكان أحدهم يصوم الدهر ولا يفطر، وأحدهم يقوم الليل ولا ينام، و أحدهم لا يتزوج النساء، فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا وقال «أما أنا فإنني أصوم و أفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٥٠).

---

47 -سورة البقرة، الآية: 143.

48 -سورة البقرة، الآية: 185.

49 -أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، **البحر الزخار** المعروف **بمسند البزّار** حديث رقم 997 ج 3 صـ 167، تحقيق محفوظ عبد الرحمن، المكتبة السلفية، القاهرة 2000م.

50 -رواه أحمد في **مسنده** 3/ 259 ، ط عيسى الحلبي – المطبعة الميمنية بالقاهرة 1313 ه تصوير المكتب الإسلامي بيروت دمشق ، وعبدالرزاق الصنعاني في **مصنفه** رقم 10374، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط دار المعارف، الهند 1960م، تصوير دار القلم بيروت ، والنسائي أحمد بن شعيب، في سننه، 4/ 210، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية دمشق، بدون تاريخ، و**مجمع الزوائد** للهيثمي 3/ 993، تصوير دار الريان للتراث، القاهرة 1407هـ.

وجاء في **صحيح البخاري** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير الأمور أوسطها، إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا (٥١). ويؤكده حديث آخر: «يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملوا، و إن أحب الأعمال إلى الله مادام و إن قلّ» (٥٢) وفي حديث **البخاري ومسلم** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (٥٣) ونهى صلى الله عليه وسلم عن صوم الوصال وعن قيام الليل كله وعن الترهب وقال كما في الحديث الذي في **صحيح البخاري ومسلم** : «والله، إني لأخشاكم لله، واتقاكم له، ولكني أصوم و أفطر، و أصلي و أرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني"(٥٤).

فالأمة الإسلامية هي الأمة الوسط صاحبة الريادة والقوامة الشرعية التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم؛ وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل، وهي شهيدة على الناس يوم القيامة، وبينما هي تشهد على الناس هكذا، ف إن الرسول صلى الله عليه و وسلم هو الذي يشهد عليها فيقرر لها موازينها وقيمها؛ ويحكم على أعمالها وتقاليدها؛ ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيها الكلمة الأخيرة· قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٥٥).

---

51 -الألباني: **ضعيف الجامع** ، تحقيق زهير الشاويش ص 1252، ط المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ، وعبدالرحمن بن حسين العراقي: **تخريج الإحياء**، 3/ 209، ط دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

52 -البخاري: **صحيح البخاري** ، تحقيق محب الدين الخطيب، ص 5861، ط المكتبة السلفية القاهرة، الطبعة الأولى، 1400هـ، و**تخريج ابن حبان** الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الارناؤوط، ص 2571، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ.

53 -الألباني: **صحيح الجامع** ، تحقيق زهير الشاويش، ص 8087، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثه، 1408هـ، و**السيل الجرار**: محمد بن علي الشوكاني1/ 149 ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ.

54 -تم تخريج الحديث في نفس الصفحة أعلاه.

55 -سورة البقرة، الآية: 143.

وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها، ولتشعر بضخامتها· ولتقدر، دورها حق قدره، وتستعد له استعدادا لائقا ·وجعلها الله أمة وسطا في الزمان تنتهي عهد طفولة البشرية من قبلها؛ وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها ·، وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها؛ وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى؛ وتزاوج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء؛ وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك(٥٦).

هذه هي الوسطية الإسلامية، ومن خلالها يكون الحوار، الحوار أولا بين المذاهب المختلفة، ولابد من الاتفاق على أن التطرف ليس من شيم الإسلام، وبالتالي لابد من إدانة التطرف، وإدانة الإرهاب، والعمل على مواجهة الإرهابيين المنتسبين للإسلام بالفكر والسلوك والقدوة الحسنة، فالحوار الديني منطلقه سماوي، كل الأديان تطلبه، والحوار الديني نظمه القرآن الكريم.

تحرير الخطاب الديني

إن تحرير الخطاب الديني يتطلب تبن ي الحوار داخل الجماعة الإسلامية بكل أطيافها السياسية والمذهبية ، وهذه ليست دعوة للتقريب بين المذاهب ، ولكن الحوار يجب أن يقوم على فلسفة واضحة تنطلق من النواة الأولى أي الحوار داخل الجماعة الواحدة ، ومن السذاجة أن نطلق للحوار مع الآخر ونحن نعجز عن الحوار مع ذاتنا، علماً بأن القرآن الكريم هو في حد ذاته كتاب حوار، والحوار في القرآن يمثل نقل عناصر الفكر الإنساني بكل خصائصه الثقافية والشعورية للإنسان الآخر الذي يقوم بالدور نفسه بالنسبة لهذا الشخص.

إن الحوار الأول في القرآن الكريم كان حواراً بين الله عزوجل والملائكة عندما قال لهم ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٥٧)، وحاوروا ذاته العليا بقولهم باستنكار ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾(٥٨)، وانتهى الحوار باقتناعهم عندما أخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء كلها وقالت الملائكة ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٥٩).

---

56 -محمد عادل عزيزة، المصدر السابق.

57 -سورة البقرة، الآية: 30.

58 -سورة البقرة، الآية: 30.

59 -سورة البقرة، الآية: 32.

أما الحوار الثاني في كتاب الله سبحانه وتعالى فهو مع إبليس، فإبليس رفض السجود لآدم ، لكنه لم يرفض فرصة الحوار مع الله سبحانه (٦٠)، وعبّر إبليس عما في نفسه ، وقدم طلبه إلى الله بعد أن رفضه سبحانه وتعالى ، ثم بعد أن قبل طلبه عبّر عن خطته "قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم "(٦١) وأجابه سبحانه بعد ذلك "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان "(٦٢)، وهذا الحوار بَيْنَ الله سبحانه وتعالى رب الكون وبين إبليس يعطينا فكرة أن المخلوق حتى لو كان متمرداً فإنه لا يفقد فرصة الحوار مع خالقه ، ومن ثم ليس هناك شخص مرفوض في الحوار، وبالإمكان محاورة أي إنسان مهما كانت درجة سقوطه الإنساني والديني والاجتماعي(٦٣).

لقد جاءت الحوارات كثيرة ومتنوعة في القرآن العظيم ، بين إبليس وآدم ، والقرآن الكريم دخل في حوارات متعددة مع المؤمنين والكافرين والشاكين والمنافقين ، ثم حوارات بين هذه الطوائف المختلفة، بحيث يمكن القول إن الحوار هو الوسيلة لتأكيد المعرفة وتحريك الواقع، وطلب القرآن الكريم أن يدخل الإنسان في حوار مع نفسه.

أسس الحوار القرآني

وضع الله في قرآنه الكريم قواعد ثقافية ومعرفية للحوار يجب أن يأخذ بها المتحاور في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾(٦٤) فأراد الله للإنسان أن يملك المحاور المعرفة فيما يحاور فيه، وأراد للحوار أن ينطلق من خلال أصول موضوعية تحترم إنسانية الإنسان، المحاور سواء في قيام الدعوة أو في مقام الخصام والجدال، ولعل قمة المنهج القرآني الموضوعي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٦٥)، فالقرآن جرد الحوار من ذاتية المتحاور، وجعل المتحاورين لا يتبنيان شيئاً حتى لو كانا ملتزمين في العمق التزاماً حاسماً حول هذا الموضوع، حيث يعتبر أن هناك حقيقة، وأن هناك شكاً مشتركاً وأن الطرفين يريدان

---

60 -السيد محمد حسين فضل الله – **مستقبل الحوار الإسلامي** –كتاب الكلمة، بيروت – منتدى الكلمة، 2004م، ص 9 وما بعدها.

61 -سورة الأعراف، الآية: 16.

62 -سورة الحجر، الآية: 42.

63 -علي أبوالخير "نبذ العنف من فكر الجماعة الإسلامية المصرية إعلان توبه أم تكتيك مرحلي " بحث منشور في مجلة **النور** اللندنية، أبريل 2007م.

64 -سورة آل عمران، الآية: 66.

65 -سورة سبأ، الآية: 24.

أن يحركا الشك في طريق اليقين حتى يلتقيا بالحقيقة، ويعتبر هذا الأسلوب منهج قرآني في الحوار الذي يجعل فكراً يحاور فكراً، لا ذاتاً تحاور ذاتاً ، فالحوار يضيء للإنسان مواطن الحقيقة، (٦٦) ويجعل الإنسان يكتشف الآخر دون اللجوء للإكراه فضلاً عن القتل العقائدي الذي مورس كثيراً في الدولة الإسلامية إما تحت دعاوى الزندقة أو الخروج من الملة أو مفارقة الجماعة وجميعها سياسية غطت برداء الدين كثيراً، صحيح كانت هناك محاولات كثيرة جابه العلماء فيها الخلفاء، ولكنها ظلت مواجهات فردية للعلماء لم تأخذ صفة الجماعة، هذا باستثناء الحركات السياسية التي تقوض دولة لتنشئ دولة، وهذه أيضاً لها فتاوى كثيرة متنوعة حسب موقع السلطة المنتصرة، وأغلبها جاءت غير قرآنية المصدر على الإطلاق.

ولكن المشكلة أن جميعها صارت من ضمن أسس الحوار التراثي والذي اعتبره المسلمون فيما بعد من الدين بالضرورة، وليس فيه من الضرورة شيء ، ولسنا بصدد الدخول في التاريخ لكل فترات التاريخ الإسلامي؛ ولكنا نريد إيضاح الحقيقة كما جاءت في القرآن العظيم على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي الحقيقة الثورية التي يجب على المسلمين معرفتها، والاستدلال بالثورية المحمدية القرآنية لتحرير الخطاب الديني.

إن الإنسان في تصور القرآن مخلوق أرضي حقاً، ولكنه بحكم تكوينه ووظيفته موصول بالسماء(٦٧) وبهذه الصفة يجب أن يقدم له خطاب ديني محرر من أي قيود غير قرآنية كما رأيناها آنفاً في الحوار القرآني، علماً بأن هذا الحوار السماوي يتعلق بالأرض والإنسان المستخلف.

ولماذا نذهب بعيداً، إنَّ أول ما نزل في القرآن الكريم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٦٨)، فالقراءة والقلم هما عنوان المعرفة البشرية السماوية المصدر، ولا تكون القراءة إلا مع القلم أو ما دوّن بين دفتين، ولذلك فإن ثاني ما نزل من القرآن الكريم ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(٦٩).

من جديد يؤكد الله سبحانه أهمية القلم في تدوين العلم والمعرفة والثقافة، وهكذا يتسق مع

---

66 -**مستقبل الحوار الإسلامي**، مرجع سابق، ص 12.

٦٧- فهمي هويدي، "حق الناس هو حق الله"، مجلة **العربي** الكويتية، العدد 297، أغسطس 1983م.

٦٨- سورة العلق، الآية: 1،5.

٦٩ - سورة القلم ، الآية: 1، ولقد اعتمدنا على ترتيب النزول حسب ما هو مكتوب في المصاحف المقروءة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٧٠)، لأنه سبحانه لم يترك القرآن لذاكرة البشر، فكان تدوين القرآن لحظة نزوله على الحجر وسعف النخيل من أسباب حفظ القرآن، وهو ما لم يحدث للكتب السابقة التي لم تدون في حينها فضاع كثير من معالمها ، والخطاب الديني التراثي لم يأخذ بكل ما سطر القرآن الكريم ، نظراً للقيود الغير قرآنية التي أضعفت كثيراً من نصوصه إما للأهواء البشرية وإما لسوء فهم مفسري النصوص ، على أنها جميعاً تخضع النصوص للتصور البشري.

إذا كان القرآن قدم للبشر، ولم يقدم البشر للقرآن، يكون المفهوم القرآني الذي قدم للبشر له أصوله الإلهية ودلالاته الرسالية، وأي فهم قاصر لهذه الدلالات تخرج النصوص كلية عن معناها.

إن القرآن الكريم أعلن الثورة على الطغيان ، فإنه أعلنها انطلاقاً من قواعد إيمانية وعقلية، ولقد جاءت إشارة إلى أحد اشتقاقات كلمة الثورة في القرآن في الآية الكريمة ﴿ وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ ﴾(٧١)، وفسر صاحب معجم ألفاظ القرآن كلمة " أثاروا " أثار الأرض حرثها وشقها وقلبها للزراعة أو لغيرها كاستخراج المعادن واستنباط الماء(٧٢).

وفى الحديث الشريف جاء تعبير "ثوّروا القرآن" و"أثيروا القرآن"(٧٣) ، قال مؤلف مجمع بحار الأنوار "من أراد العلم فليثور القرآن أي لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته، وأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين" ويستثير فيها من الفوائد، أي يستخرج(٧٤).

ومن خلال هذا النهج القرآني في الحوار نكون قد بدأنا نسير في طريق تحرير الخطاب الديني من قيوده، وبعدها يكون السبيل للمعرفة متوازيا ومتقاطعا مع الخطاب الديني، وهذا يدفعنا عن طرق التحرير القرآني.

مما سبق يتضح أن الإسلام سبق الجميع في تفعيل الحوار بين الأديان والحضارات والثقافات، ألم يقل القرآن الكريم " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

---

٧٠ – سورة الحجر، الآية: 9.

٧١– سورة الروم، الآية: 9.

٧٢– جمال البنا : **تثوير القران**، ص 3، ط دار الفكر الإسلامي، القاهرة، 2004م.

٧٣– **الترغيب والترهيب**: زكي الدين عبدالعظيم المنذري 1/ 296 ، تحقيق: محمد السيد، القاهرة، الطبعة الأولى 1421هـ، **والبحر الزخار** المعروف **بمسند البزار**: أحمد بن عمر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زينه الله، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1415هـ.

٧٤– جمال البنا: **تثوير القرآن**، ص 3، المصدر السابق.

لتعارفوا"(٧٥) ، أي أن الأصل هو التعارف، والتعارف هو التواصل بين الشعوب والقبائل والأمم، التعارف الدليل الإلهي للإنسان ليمنعه من القتل والقتال.

المحور الثالث

خطر التطرف

يرتبط التطرف بالتعصب والانغلاق الفكري. فحين يفقد الفرد أو الجماعة القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقداته أو معتقدات الجماعة أو مجرد تجاهلها، فإن هذا يعد مؤشراً على تعصب هذا الفرد أو الجماعة وانغلاقه على معتقداته. ويتجلى شكل هذا الانغلاق بأن كل ما يعتقده الفرد أو الجماعة هو صحيح تماماً وأن موضوع صحته غير قابل للنقاش.

وفي حالة التطرف الديني، يكون الفرد متديناً عادياً يأخذ نفسه بتعاليم الدين ومبادئه، ويدعو الناس إلى الأخذ بذلك، وهو حتى هذه اللحظة يدعو إلى شيء لا يملك المجتمع إزاءه إلا تعبيراً عن الرضا والتشجيع. هذا الداعية غالباً ما يواصل مسيرته نحو التشدد مع نفسه أولاً ومع الناس، ثم يتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتبعه في مسيرته أو دعوته، وقد يتجاوز ذلك إلى اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته.

يبدأ هذا الموقف بالعزلة والمقاطعة، حتى يصل إلى إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع بالردة والكفر، والعودة إلى الجاهلية. ثم يتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف عدواني يرى معه المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد في سبيله، لأن هذا المجتمع – في نظر المتطرف – مجتمع جاهل منحرف (٧٦)، لا يحكم بما أنزل الله. هنا يتدخل المجتمع لوضع حد لهذا التطرف ومصادره، باعتباره نشاطاً يصل بصاحبه إلى الاصطدام بالعديد من القواعد الاجتماعية والقانونية .فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساء هؤلاء استخدام تفسيرهما، ودعاهم هذا إلى الاعتداء على حقوق ليست لهم، وإلى تهديد أمن الأفراد وحرياتهم أو حقوقهم، ومن هنا تأتي جماعات الإرهاب من هذا المفهوم الضيق للمعرفة الدينية، ثم تنشأ الجماعات الإرهابية كما نراها اليوم، والسبب الرئيسي هو البعد عن الوسطية والمفهوم الحقيقي للإسلام، وكل المفاهيم الدينية والإنسانية.

إن الإعراض عن هذه الوسطية هو الهلاك بعينه، لأنه الضياع في الدين والدنيا معا، وهو

٧٥- سورة الحجرات، الآية: 13.

٧٦ – سيد قطب: **معالم في الطريق**، ص 53، ط دار الوفاء المنصورة، مصر 1998م.

الإفراط والتفريط، وقد صرح الحديث النبوي بأن الغلو في الدين كان سببا لهلاك كثير من الأمم السابقة فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»(٧٧)، والمتنطعون: هم المتشددون والمتعمقون المبالغون في التزامهم بالدين بما يخرجهم عن الحد الوسط.(٧٨)

كما أن آفة الانحراف عن الوسطية أو الشذوذ عنها يقود إلى التطرف والجهل والاستبداد، والتقليد الأعمى، والتصرفات المرتجلة دون رؤية وتشاور وتقدير هادئ لعواقب الأمور، ولذلك تعاني بعض المجتمعات الإسلامية من تفشي الغلو والتطرف في الدين بين صفوف المراهقين فكرياً، وذلك من خلال تطبيق ممارسات خاطئة بحجة التمسك بالدين، وفي الواقع هم أبعد ما يكونون عن الدين الإسلامي الحنيف دين الوسطية والاعتدال.

كما أن المبتعدين عن وسطية الإسلام يسلكون في حياتهم مسالك وعرة، منهجهم القهر والإكراه، وسفك الدماء والتخريب ومصادمة المشاعر، ونشر الذعر والخوف، واستباحة الدماء والأعراض والأموال، لاتصافهم بصفتين شاذتين وخطيرتين هما:

1 – الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية المقررة في القرآن والسنة، ولاسيما الأحكام العامة التي تمس الآخرين.

2 – التورط بتكفير المخالفين لهم لأدنى تهمة أو شبهة، واستباحة دمائهم، وهذا ظلم عظيم .

ولذلك لابد من توعية الأمة بمخاطر التطرف والتشدد، والتأكيد على مبدأ الإسلام ألا وهو الوسطية والاعتدال وأن الإسلام يقبل الآخر، وحوار الأديان مستمر عبر التاريخ مع جميع أصحاب الديانات الأخرى للتأكيد على نقاط الالتقاء وتعزيزها ونبذ الفرقة والتعصب. ولابد من التنويه إلى أن المسلمين دعاة الحق ليسوا إرهابيين كما يصفهم بذلك أعداؤهم، وإنما يدعون إلى الدين الوسط والى شريعة الإله السمحة السلمية والحضارية والإصلاحية للعقائد والمعاملات والعلاقات

---

٧٧ – أ خرجه النسائي في **السنن الكبرى**، كتاب مناسك الحج، أبواب الرمي برقم 4063، تحقيق: عبدالفتاح ابوغدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية بدون تاريخ، و **ابن ماجه** في المناسك باب قدر حصى الرمي رقم 3029، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط عيسى الحلبي، مصر 1984م، تصوير دار الريان، القاهرة بدون تاريخ، وأخرجه الحاكم في **المستدرك** برقم 1/ 71 وقال: صحيح على شرط الشيخين، ط دار الكتاب العربي، بيروت، المصورة عن الطبعة الهندية.

٧٨ – ابوالفضل جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، ط مكتبة المتنبي، بغداد 1987م، باب نطع، ج 14، ص 96.

الاجتماعية ، فهم دعاة رحمة وهداية وعلم ونور، وذلك لاختلاف الاتجاهين في المنهج والغاية والأسلوب.

وليس من الإرهاب أيضا المقاومة المشروعة أو حق الدفاع والجهاد المشروع بضوابط مقررة في الإسلام، فالإرهاب عمل غير مشروع في دوافعه ومناهجه وأساليبه وغاياته . وأما المقاومة فهي حق مشروع للدفاع عن الوجود والنفس والوطن والعرض والمال وسائر الحقوق الثابتة المقررة.

ولذلك نجد عندما تقهقرت روح الوسطية السمحة الميسرة في المجتمع المسلم، ظهر فكر المحنة. ولابد للأمة من التغلب على فكر المحنة، أو فكر الأزمة لتنتقل إلى فكر العافية، ومن فكر مدرسة الظواهر إلى فكر مدرسة المقاصد، ومن فكر الجنوح إلى الغلو والتسيب، إلى: الفكر الوسطي المعتدل، المعبر عن وسطية الأمة المسلمة، فالإسلام لا يقر التطرف والمغالاة والإرهاب، والتعصب بأنواعه المريضة المختلفة سواء كان تعصباً نفسياً أو مذهبيا أو عنصرياً أو قبلياً أو قوميا، أو دينياً، أو سياسياً أو اقتصادياً، أو ثقافياً، ويلتزم مبدأ تكريم الإنسان أيا كانت جنسيته، والمحافظة على حقوقه العديدة، ويحافظ على معطيات المدنية والحضارة، فهو سلام وأمان واستقرار وسعادة للمجتمع الإنساني.(٧٩)

وخلاصة القول إن للمتطرفين ميزات خاصة، أبرزها(٨٠):

1 – العقلية المنغلقة والمحدودة حيث إنهم يعيشون في أجواء خاصة مغلقة ولا ينفتحون على الآخرين، ونجدهم يتطرفون في أفكارهم وأحكامهم على غيرهم.

2 – الجمود الفكري والديني، نظراً لأن المتطرفين منغلقون على أفكارهم فإن ذلك ينتج الجمود على النصوص الدينية وعدم مراعاة أحوال الزمان والمكان.

3 – ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، فالمتطرفون يعتقدون أنهم مع الحق وغيرهم على باطل، ولذلك يرفعون شعار «من لم يكن معنا فهو على باطل» ويرون الناس من أهل الكفر والفسوق والنفاق.

4 – الغرور وهو اعتقاد الإنسان بأنه ملك مفاتيح الجنة وصار رفيقاً للنبي .

5 – الغلظة والفظاظة وسرعة الغضب وذلك لأن الحالات الانفعالية والعاطفية في المتطرفين تغلب على التعقل والوعي.

٧٩– المصدر السابق.

٨٠– الشيخ محمد متولي الشعراوي: **تفسير القران الكريم**، كتاب اليوم، 2005 م، ج 3، ص 121 الى ص 130، ببعض تصرف.

6 – التعصّب والتصلّب، فكما أن المريض يضع خرقة يشدها على العضو المصاب فإن المتطرف يتعصب لأفكاره ويتعصب ضد غيره، وعرّفه البعض أنه: «الانحياز التحزبي إلى فكرة أو مبدأ أو معتقد أو شخص إمّا مع أو ضدّ، والتعصب للشيء هو مساندته، والتعصّب ضد الشيء هو مقاومته»(٨١).

آثار التطرف الديني

للتطرف آثار سلبية تؤثر على الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية والدينية، ومن تلك الآثار(٨٢):

1 – نشر العنف والفوضى والإرهاب بين الناس كما فعل الخوارج حيث كانوا يقطعون الطريق ويسلبون الناس أموالهم ويقتلون النساء والأطفال.

2 – تكفير الآخرين، فالمتطرف يرى أنه محور الحق وبالتالي فإن كل المخالفين له بنظره من أهل الكفر.

3 – فرض الرأي على الآخرين بدون مراعاة لسُّنّة الاختلاف الفكري والنفسي والروحي لدى الناس.

4 – التلاعب بالدين حيث يشخّص المتشدّد المواضيع الشرعية كما يُملي عليه عقله، ثم يجعل إسقاطات النصوص الشرعية كما يراها وبالتالي يفسّر الآيات بما يملي عليه مزاجه، ويجعل المصلحة العليا الهدف الأساسي لعمله فيغيّر الأحكام وينقض العهود ويغدر ويسرق ويقتل تحت العناوين الدينية.

5 – تحول المتشددين إلى أداة للاستعمار من حيث لا يدرون. فإن سياسة الاستعمار تقوم على قاعدة فرق تسد، وهي لذلك تستخدم المتطرفين لكونهم سلاحاً داخلياً وخطيراً وفتّاكاً.

كيفية مواجهة التطرف الديني

لمواجهة حالة التطرف التي تجتاح المجتمعات العربية والإسلامية والغربية لا بد من أمور نوجزها بما يلي(٨٣):

أ ـ نشر الثقافة الإسلامية التي تدعو إلى التراحم والتسامح والمحبة واللاعنف والتعايش والإخاء.

ب ـ تربية الشباب على الانفتاح لأن هذه المرحلة من العمر هي الأكثر خطراً في التشدد والتطرف.

٨١– الشيخ محمد الغزالي : **الحق المر**، ط دار الشروق للنشر، القاهرة، 2004م، ص 96.

٨٢– المصدر السابق،ص 90 إلى ص 92.

٨٣– خلاصة رأينا في مشكلة التطرف معتمدين على اراء العلماء والفقهاء من المذاهب الإسلامية الأربعة .

ج ـ ربط الناس بالدين من خلال المرجعية الدينية العليا لا من خلال المثقفين أو الدعاة أو الأحزاب أو أشرطة الكاسيت وما أشبه ذلك.

د ـ تصدي العلماء لمدِّ المتطرفين كي لا يقع الناس ضحية الاغترار بهم.

هـ توضيح النصوص الدينية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى وكيفية النهي عن المنكر، ومعنى الجهاد والشهادة، وأحكام التعامل مع الآخرين على اختلاف أفكارهم ومذاهبهم، وغير ذلك من المفاهيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام ومحورها التوازن والوسطية. وهذا ما تميّز به دين الإسلام الحنيف.

و ـ عدم التصادم مع المتشدّدين لأن ذلك يزيد تشددهم خصوصاً أنهم يحملون نفسية مستعدة لكل مواجهة حتى الموت.

ز ـ العمل على التربية النفسية والروحية والاجتماعية وتوفير فرص العمل للشباب، والانفتاح على الآخرين من خلال الحوار والسفر إلى دول أخرى وتعزيز البرامج الإعلامية الهادفة.

المحور الرابع

مؤثرات في ضرورة الحوار الديني

من هنا تأتي أهمية الحوار الديني، ليس من أجل نبذ التطرف فقط، بل من أجل نشر قيم السماء الحقيقية، من تسامح وحب ومودة وإخاء ومساواة، وأن يكون الأصلح هو الأقدر على إدارة الحوار.

توجد مشتركات بين الديانات، خاصة المتعلقة بالأخلاق، ومن ضمنها التسامح، كما توجد قضايا تهم كل الجنس البشري، ومن خلالها يمكن التلاقي والحوار.

وهنا لابد من التفاهم المشترك، لأن التفاهم بين الأديان يتحقق من خلال الحوار لمواجهة العدو المشترك لكل الأديان، وهو المتمثل في الاتجاهات والمذاهب غير الدينية مثل الشيوعية والإلحاد والعلمانية وغيرها من المفاهيم والأيديولوجيات الرافضة للدين والمعادية له.

وقد نجحت هذه الاتجاهات المنحرفة في غزو الحياة الفكرية للإنسان، وإضعاف الأساس الديني والأخلاقي للحياة الإنسانية، وسعت إلى عزل الدين عن الحياة، كما سعى بعض هذه الاتجاهات إلى إلغاء الدين وإبطال دوره في تسيير الحياة الإنسانية كما فعلت الشيوعية والاتجاهات المادية الإلحادية.

ولا يوجد دين من الأديان الحية لم يتعرض للغزو العلماني الشيوعي الإلحادي الحديث. ونظرًا لأن هذه الاتجاهات الرافضة للدين صناعة غربية فقد أصاب أول ما أصاب ديانات الغرب الأساسية وهي المسيحية واليهودية ثم انتقلت العدوى إلى الديانات الأخرى ومن بينها الإسلام وديانات الشرق الأقصى.(٨٤)

إذن هناك خطر مشترك وتهديد عام موجه ضد الأديان ومهدد لوجودها، وهو أمر جلل يجعل من الحوار بين الأديان ضرورة كبرى لإنقاذ أديان العالم من الضياع والهلاك، ولإعادة الأساس الديني والأخلاقي لحياة الشعوب، والغرب في أمس الحاجة إلى هذا الحوار لأن فيه إنقاذًا لليهودية والمسيحية وخلاصًا لهما من الاتجاهات القوية المضادة للدين.

ولأن الإسلام لا يزال يملك القوة التي تمكنه من مواجهة العلمانية والإلحاد ففي قدرته مساعدة اليهودية والمسيحية وإنقاذهما وذلك بتقديم العون الديني ودعم الروح الدينية في الغرب

٨٤- محمد خليفة حسن: **الحوار بين الأديان، أهدافه وشروطه والموقف الإسلامي**، منه ص 84، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2003م.

وإيقاظ الخبرة الدينية ال دائمة ، وبعث الوعي الديني، وإحياء الدين ليكون قاعدة أساسية للحياة الإنسانية.

والدليل على حاجة الغرب إلى هذا العون الديني أن الإنسان الغربي بعد أن فقد اليهودية والمسيحية وأصبح في فراغ ديني لم تملأه الاتجاهات المضادة للدين سعى إلى ديانات الشرق يقرأ عنها ويتثقف فيها، ويستمد منها الزاد الديني المفقود الأمر الذي أدى إلى حدوث ظاهرة التحول الديني في الغرب واتساعها لتعبر تعبيراً صادقاً عن أهمية الدين في حياة الإنسان، وكون الدين فطرة في الإنسان لا يمكنه هجرها أو التخلي عنها .

ولا نغالي إذا قلنا : إن أهم جوانب اهتمام الغرب بالحوار بين الأديان هو جانب معرفي يسعى إلى سد الفراغ الديني الذي خلفته العلمانية الغربية، ويمد الإنسان الغربي ببديل روحي عن اليهودية والمسيحية أو يؤدي إلى استعادة الروح المفقودة في هاتين الديانتين، وفي كل الأحوال فالدين هو المنتصر في هذا الحوار الدائر بين الأديان.(٨٥)

مؤثرات التفاهم بين الأديان

إن التفاهم بين الأديان عن طريق الحوار له هدف آخر مهم وهو تحقيق الأهداف المشتركة للأديان، قد تختلف الأديان حول تحديد معنى السعادة وطبيعتها وسبل تحقيقها لارتباط هذا كله بالمضمون العقدي لكل دين وبالأسلوب الديني الذي اختطه كل دين لأتباعه لتحقيق هذا المضمون العقدي حيث اتخذت بعض الأديان منهجًا تشريعيًا بينما التزمت بعض الأديان الأخرى بمنهج أخلاقي بعيد عن التكاليف الشرعية، واعتمدت بعض الأديان الأخرى على الأسلوب أو منهج الزهدي التصوفي .

وتختلف الأديان أيضًا في نظرتها إلى مجال السعادة الإنسانية فبعض الأديان تقتصر على مطلب السعادة الدنيوية، ولا تعطي اهتماماً للسعادة الأخروية، وبعضها يقول بالسعادة الأخروية دون الدنيوية، وبعضها يجمع بين سعادة الدين والدنيا.

الإنسان مهما اختلفت ديانته يواجه واقعًا واحدًا، وظروفًا معيشية واحدة، ومشكلات حيوية واحدة. وهنا تبرز أهمية الحوار بين الأديان وبخاصة بعد أن توحدت مشكلات الإنسان وتشابهت في كل مكان، وأصبح للأديان مواقفها السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية ولا تعيش في عزلة عن مشكلات إنسانها وقضاياه العصرية، فالإنسانية الآن تشترك في المشكلات البيئية

٨٥- المصدر السابق ، ص 85.

والاجتماعية مثل الجهل والفقر والمرض.(٨٦)

وفي القضايا السياسية والاقتصادية والفكرية تحاول جاهدة أن تمد المؤمن بها بتحليلات لأسباب وقوع هذه المشكلات وبرؤى حول أسلوب معالجتها، ولا شك في أن الأديان تستطيع أن تعين المؤمنين بها وتستغل معرفتها المختلفة وخبراتها المتنوعة في تقديم الحلول للقضايا المشتركة لتحقيق النجاح والفلاح والسعادة للإنسانية جمعاء.(٨٧)

وبالإضافة إلى هذا التعاون المثمر بين الأديان من خلال الحوار الفعال بينها لمصلحة المجتمعات الإنسانية يمكن للحوار أيضًا أن يسهم في مواجهة التطرف الديني وهي مشكلة عامة تواجه كل الأديان الحية . فقد انتشرت ظاهرة التطرف الديني وما يصاحبها من تشدد وتزمت وإرهاب وعنف في كل المجتمعات الإنسانية تقريبًا .

وهي مشكلة لها بعدان : بعد داخلي ينتج عنه توزع أهل الدين الواحد إلى فئتين على الأقل، فئة متمسكة بالدين في نظامه الأساس الأصل، وفئة متطرفة خارجة على هذا النظام ومنحرفة عنه بتفسيراتها المتشددة لتعاليم الدين والذي ينعكس على علاقاتها ومعاملاتها مع الفئة الأولى.(٨٨)

أما البعد الخارجي فهو يتمثل في اتساع دائرة التطرف الديني لتصبح ذات تأثير على علاقات الأديان بعضها ببعض، وفي البيئة المتعددة ذات الأديان الأخرى داخل المجتمع الواحد.

وفي المجال الاجتماعي يمكن للحوار بين الأديان أن يساعد في القضاء على المفاسد الاجتماعية، ويحد من انتشار الرذيلة والأمراض الاجتماعية الناتجة عنها وذلك من خلال نشر القيم الدينية والأخلاقية التي تنادي بها جميع الأديان وتبادل الخبرات الدينية في مجال مقاومة الفساد في أشكاله المختلفة، وتوعية المؤمنين بهذه الأديان في المجالات الصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية لبناء مجتمع إنساني على أساس من الفضيلة والحكمة الدينية والأخلاقية، وإعطاء المثل، وخلق القدوة الصالحة الأمر الذي يؤدي إلى إصلاح المجتمعات الإنسانية وتحقيق مجتمع الفضيلة والعدالة والمساواة.

٨٦- محمود حمدي زقزوق ، "القرن الجديد وخيار الحوار الحضاري "، مقال منشور في جريدة **الاهرام** القاهرية، 23/ 8/ 1999م.

٨٧- محمد خليفة حسن ، المصدر السابق، ص 85.

٨٨- المصدر السابق ، ص 87.

لقد اتضح فيما سبق أن التفاهم بين الأديان يسهم في علاج القضايا الإنسانية التي تواجه البشرية في كل مكان . ونظرًا لاختلاف الخبرات الدينية واختلاف الحلول التي تقدمها الأديان للمؤمنين بها فإن تعاون الأديان يساعد على الوصول إلى حلول متنوعة وفعالة لمشكلات الإنسانية وبخاصة إذا تم توظيف تأثير الأديان في الشعوب توظيفًا جيدًا وصحيحًا لعلاج مشكلات الشعوب وبناء مستقبل أفضل للإنسانية.(٨٩)

وبالإضافة إلى فائدة الحوار بين الأديان في التفاهم بين الأديان على المستويات السابقة المذكورة فإن الحوار الداخلي بين مذاهب وفرق الدين الواحد يؤدي إلى تحقيق التقارب بين هذه الفرق والمذاهب الداخلية.(٩٠)

الحوار داخل كل دين

يعدّ الحوار الداخلي على القدر نفسه من الأهمية التي للحوار الخارجي بين الأديان، فهناك مـدارس مختلفة داخل كل دين، لابد من حوار فيما بينهم أولا، ثم الاتفاق على المشتركات، ولا يمنع من الحوار الديني مع الأديان المختلفة، سواء خلال الحوار الداخلي، أو بعده، والحقيقة أنه بدون التفاهم بين أهل الدين الواحد لا يمكن أن يتم التفاهم بين أهل الأديان، فإن النتائج الإيجابية أو السلبية التي تنتج عن الحوار الداخلي تؤثر إيجابًا وسلبًا في الحوار الخارجي بين الأديان، والحقيقة أنه في بعض الأحيان يكتسب الحوار الداخلي شكل الحوار الخارجي، وذلك لأن معظم دول العالم تتعدد فيها الأديان والمذاهب الأمر الذي يجعل من الحوار فيما بينها داخليًا عاملاً مساعدًا في حل مشكلات الأديان وتحسين علاقاتها بعضها مع بعض .ونضرب على ذلك بعض الأمثلة المفيدة .

ففي العالم الإسلامي مثلا توجد قضية يشترك فيها الجميع، وهي قضية فلسطين، والقدس الشريف، وهي قضية تصلح لبداية حوار ديني إسلامي داخلي، وفي العالم المسيحي، اكتسبت المذاهب المسيحية الكبرى صفة الديانات المستقلة بعضها عن بعض، فالكاثوليكية دين أو مذهب ديني مستقل تمامًا عن البروتستانتية والأرثوذكسية، ولا يكاد يخلو مجتمع مسيحي من وجود هذه الأديان المسيحية المستقلة والحوار بينها.

٨٩- علي أبوالخير: **الأكثرية والاجماع في تاريخ الأمة**، ص 261، مركز الحضارة الإسلامية، بيروت، 2013م.

٩٠- صوفي أبوطالب ، "الحوار بين الأديان" مقال في كتاب: **الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري**، ص 98، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م، وانظر: عدنان رضا النحوي ، "قاعدة الاخوة في الحوار الإسلامي " مجلة **رسالة التقريب**، ص 208، العدد 23، طهران 1999م، وأيضا محمد خليفة حسن، المصدر السابق بتصرف.

على الرغم من أنه يبدو وكأنه حوار داخلي بين مذاهب دين واحد فإنه في الوقت نفسه حوار بين ديانات مسيحية مستقلة، والمثل نفسه يضرب على الوضع الديني في المجتمعات الهندية والصينية واليابانية حيث تنتشر في هذه المجتمعات ديانات مستقلة مثل الهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية والتاوية وهي جميعًا ديانات ذات علاقات قربى ولها صلات تاريخية ودينية قوية. ويضاف إلى هذه الديانات الأصلية ديانات وافدة من خارج الشرق الأقصى مثل المسيحية بمذاهبها المتعددة ومثل الإسلام، والحقيقة أن مجتمعات الشرق الأقصى تشبه مجمعًا للأديان والمذاهب، والحوار الداخلي بين أهل كل دين منها أو بينها جميعًا يعطي للحوار نشاطاً وقوة تأثير داخلية وخارجية معًا، فالحوار الدائر في هذه المجتمعات هو حوار داخلي وخارجي في الوقت نفسه، وقد تمكنت هذه الأديان من التعايش بعضها إلى جانب الأخرى وخلق نوع من الثقافة الدينية المشتركة.

الحوار الديني ودعم قاعدة الاتفاق والتعددية الدينية

يختلف الحوار الديني بطبيعته عن الجدل في أن الحوار الديني يحتوي ضمنًا على عناصر التفاهم بين الأديان بينما الجدل يشير ضمنًا إلى عناصر الاختلاف والتباعد بين الأديان والمذاهب .

إبراهيم عليه السلام مؤثر مشترك للحوار

نبي الله إبراهيم عليه السلام، يشترك فيه أصحاب الديانات السماوية الثلاثة، ويمكن أن يكون محور هام في الحوار الديني الإيجابي، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الطبيعة الإيجابية في الحوار بين الأديان في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾،(٩١) فالآية الكريمة تدعو إلى الحوار الديني بين المسلمين وأهل الكتاب وتشير إلى عناصر الاتفاق بين اليهودية والمسيحية والإسلام التي تكون أساساً للحوار بينهم، وتستبعد ضمنًا عناصر الاختلاف التي أدى إليها التطور التاريخي لكل من اليهودية والمسيحية، بل إن الإسلام يتجاوز تاريخ الاختلاف بين الديانات الثلاث ويطالب بالعودة إلى شكل بسيط وفطري للتوحيد يمثله دين إبراهيم عليه السلام الذي هو دين الفطرة، واختيار إبراهيم عليه السلام اختيار مقصود فهو نبي مرسل تعترف به اليهودية والمسيحية والإسلام وتعده أبًا لكل الأنبياء عليهم السلام : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾،(٩٢) وترى دينه أساسًا لها وقد صدق القرآن الكريم حيث وصف إبراهيم عليه السلام

٩١- سورة آل عمران، الآية: 64.

٩٢- سورة العنكبوت، الآية: 27.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾(٩٣) فالآية تؤكد على أسبقية إبراهيم عليه السلام التاريخية وظهور دينه قبل ظهور اليهودية والمسيحية، وأن دينه كان الإسلام فهو رمز الطاعة والاستسلام للإرادة الإلهية من ناحية، وهو في الوقت نفسه رمز لدين الفطرة السليمة قبل أن تلحق التعقيدات الدينية واللاهوتية بعقيدة التوحيد.

واختيار دين إبراهيم عليه السلام هو في حد ذاته بحث عن صيغة للدين وللتوحيد يقبلها الجميع وتستند إلى خلفية دينية وتاريخية سابقة على ظهور الديانات المعروفة فالحوار الديني بهذا الشكل يقوم على عوامل الاتفاق والتوافق بين الأديان ولا يقوم على عوامل الفرقة والتباعد، ولا يستخدم القرآن الكريم هنا أسلوب الجدل الدفاعي في دعوة أهل الكتاب إنما يستخدم أسلوب الحوار الديني القائم على قاعدة الاتفاق لا الاختلاف.

يتبنى الحوار بين الأديان الاعتراف الضمني بتعدد الأديان والمذاهب ولذلك فهو يعترف ضمنًا بحرية الاعتقاد، فالحوار يعني الاعتراف المتبادل بين الأديان ببعضها الآخر على أنها كيانات أو نظم دينية مستقلة تربطها علاقات تقوى وتضعف حسب درجة القرابة الدينية من ناحية، وإيجابي ات أو سلبيات علاقتها التاريخية من ناحية أخرى.

خاتمة البحث

من خلال عرضنا السابق تبين لنا حتمية وجود الحوار الديني، على أرضية مشتركة داخل كل دين، ثم بين الأديان جميعا، وذلك من منطلق كبح جماح الإرهاب العشوائي أولا، ومن أجل سعادة البشرية ثانيا، صحيح أنها مشكلة صعبة، ولكنها أيضا ليست مستحيلة، حيث يسعى الحوار بين الأديان إلى تحقيق الفهم والتفاهم بين الأديان، ويرى هذا فارقًا جوهريًا بين الحوار الديني والجدل الديني .

فالأول يهدف إلى فهم الأديان والمذاهب باستخدام الحوار وسيلة علمية وتعليمية ولطرح التساؤلات الهادفة إلى تحقيق الفهم وإدراك المعنى.

وبالإضافة إلى هدف الفهم يهدف الحوار إلى تحقيق التفاهم بين الأديان لمعرفة نقاط الالتقاء من أجل دعمها وتقويتها، والتعرف على نقاط الاختلاف من أجل فهمها والتقريب بينها مع عدم اتخاذ التخلص منها هدفاً للحوار وذلك لأن نقاط الاختلاف تمثل خصوصية الأديان وهويتها، وتظهر شخصيتها في مواجهة الأديان الأخرى.

٩٣- سورة آل عمران، الآية: 67.

ولذلك فالحوار البناء يحافظ على استقلالية الأديان، ويبني العلاقة بين الأديان على أساس من قبول التعددية الدينية وحرية التدين لتكون مبادئ مهمة ثابتة للحوار بين الأديان.

ويهدف الحوار الديني إلى تحقيق الفهم والتفاهم وتبادل المعارف الدينية لا فرضها بقوة الجدل وعلى الرغم من الثقافة الدينية الرفيعة التي يجب أن يكون عليها المحاور وبخاصة في مجال الأديان وموضوعات الحوار الديني فهو يجلس في مجلس المتعلم أمام صاحب الدين حين يشرح أمرًا يختص بدينه.

وهو في الوقت نفسه قادر على تبادل الفكر والرأي معه إما بإعطاء وجهة نظر دينه في الموضوع المطروح أو حين يبدي رأيًا في الدين الآخر مبنيًا على أساس من معرفة علمية بالدين الآخر تسمح له بطرح التساؤلات وإثارة المسائل التي تساعد على الفهم وتكشف الغموض وتبعد الأخطاء والشبهات.(٩٤)

والمحاور يتجنب الجدل ولكن من حقه أن يعرض اعتقاده ويصفه وييسر عملية فهمه، ويعطي الأدلة والبراهين الدينية والعقلية محافظًا على استقلالية دينه ومحاولاً فهم رؤى الأديان الأخرى للاستفادة منها في تعميق رؤيته الدينية الخاصة.

بهذا الشكل يتطلب الحوار الديني مناخًا دينيًا متسامحًا وقاعدة علمية تسمح بحرية التعبير الديني وتبادل الآراء العلمية في المجال الديني .

ويصبح الحوار الديني عملية علمية فكرية، تحقق الموضوعية العلمية في مجال فكري حساس وهو مجال الفكر الديني، وهو ما تحتاج إليه البشرية، تحتاج إليه بكل شدة، حيث تعيش البشرية في فتنة عمياء تحتاج إلى الرؤية والبصيرة والسلوك الحسن.....

٩٤- محمد خليفة حسن ، المصدر السابق، ص 90.